

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ

كتبته
أم الوليد الطلوحيّة



﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، سيدي ومولاي إمام الهداة، وعلى آله وأصحابه وأزواجه القدوات وسائر من اتبعهم بإحسان على سننه البهيات.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن إطلاق النظر إلى المحرمات وتتبّعها يعد من جنس الإصرار على المعصية مع ألفها - والعياذ بالله -، فالمرء يتردد على النظر المحرّم ويترصد مواضعه حتى يأتي عليه الزمن فلا يشعر بحرج في نفسه عند فعل ذلك فيكون قد ألفه (أي: يرى أنه لم يرتكب ذنباً وأن تصرفه طبيعي عادي لا شيء فيه).

وهذا ما يجعله كبيرة من الكبائر تمت القلب وتذهب الإيمان الذي فيه وتطمس الفطرة السوية وتميت الغيرة، وقد تجر إلى باقعة استحلال المحرم.

ذلك أن النظرة المحرمة من سهام إبليس -لعنه الله- ويقع أثرها في قلب العبد، وقد روي في الحديث: «نظر المؤمن إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم»⁽¹⁾، والعكس صحيح في المرأة التي تنظر للرجال وتتلذذ بذلك مستحسنة أجسادهم ووجوههم وقوتهم.

وكذا الجزاء من جنس العمل فإذا ابتلي المرء بأهله، فوجدهم على سُنَّتِهِ وهدية يفعلون ما يفعل سواء بسواء، فَلْيَكُمْ نَفْسُهُ وَلْيُوبِخْهَا أَوَّلًا إِذْ «عَلَى الْبَاغِي تَدُورُ الدَّوَائِرُ»⁽²⁾.

ولو خطف الله الفرد نفسه أثناء ارتكاب هذا الذنب لُبِعْثَ عَلَى ما كان عليه مجترحاً كبيرة، منغمساً في نظرتة التي لم يتكلف عناء جهاد نفسه لكبحها.

فاتقوا الله، واجعلوا بينكم وبينه خبيئة غص البصر ابتغاء وجهه، فإنها فضيلة تدرك بركتها في الدنيا والآخرة.

(1) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (ط: السعادة) (6 / 101).

(2) «فتوح الشام» للواقدي (2 / 50).

قيل: «من غَضَّ بصره عن المحارم عوضه إطلاق نور بصيرته»⁽³⁾، وقيل: «من غَضَّ بصره عما حرَّمه الله عليه عَوَّضه الله من جنسه ما هو خير منه؛ فكما أمسك نور بصره عن المحرمات، أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يَغُضَّه عن محارم الله»⁽⁴⁾، والغض يعقب محبة الله لعبده.

وفي الحديث: «مَنْ غَضَّ بصره عن محارم الله، عَوَّضه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»⁽⁵⁾.

وقيل: «وَاللَّهُ لِلذَّةِ الْعِفَّةِ أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ الذَّنْبِ»⁽⁶⁾.

وغاض البصر يُبارك له في رزقه وعافيته وأهله وذريته ويزكيه ربه ويفتح عليه فتوحاً لم يكن يظنها واقعة. ويجمع بين حفظ الله والتوفيق والبركة ورضا النفس وتركيتها من لوثاتها (الاكتئاب، والقلق).

أما من استطال في غيه وخضع لهواه واستغنى بنفسه وطغت عليه شهوته، فليبلغه

(3) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمُنَاوِي (1/ 143).

(4) «إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان» لابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ط: عطاءات العلم) (1/ 77).

(5) «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد» لابن عجيبة (4/ 33).

(6) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن قَيِّم الجَوْزِيَّة (ط: عطاءات العلم) (ص: 162).

ما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «من اطلع فوق بيوت الناس حشره الله يوم القيامة أعمى»⁽⁷⁾.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:

14] كلا ليسا بسواء.

وروي في الأثر: «من ملأ عينيه من الحرام ملأ عينيه الله من جمر جهنم»⁽⁸⁾.

نسأل الله السلامة والعافية والنجاة. الدنيا راحلة مُدْبِرَةٌ والآخرة لا بد مُقْبِلَةٌ⁽⁹⁾.

ف ﴿أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[النازعات: 40-41].

وإني أسألها لي ولكم ولكل مسلم بريء من الشركاء والأنداد لا يرى معبودًا بحق

سوى الله.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

كتبته: أم الوليد الطلوحيّة

الثلاثاء 27 صفر 1445 هـ

(7) «رسالة المسترشدين» للحارث المحاسبي (ص: 119).

(8) «الزيادات على الموضوعات» للسُّيُوطِي (2 / 801)، و«تذكرة الموضوعات» للفتّني (ص: 182).

(9) يُنْظَر: «الزهد والرفائق» لابن المبارك (ت: الأعظمي) (ص: 86).

1445 هـ | 2023 م



مؤسسة الوفاء الإعلامية